نظرات تأصيلية لما جاء على وزن فعلول مبدوءاً بالعين

حليمة أحمد محمد عمايرة

قسم اللغة العربية التطبيقية، كلية اربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن

ملخص

مدار هذا البحث على ما عُدّ لدى الصرفيين من وزن "فعلول" في الألفاظ التي تبدأ بصوت العين، وذلك نحو عبهول، عنطوب، عمروس، فهل العين في هذه الألفاظ أصلية بحق، بالتالي وزنها كما قالوا على وزن فعلول، أو أن العين فيها زائدة، وهي من أثر تبادلها مع الهمزة بوصفهما صوتين حلقيين، وقد حدث التبادل فيهما على صعيد العربية وشقيقاتها كالعبرية والآرامية.

ولا بد من تحديد المنهج الذي ستسير عليه هذه الدراسة ابتداءً، في معرفة العين الأصلية من العين الزائدة، إذ يقوم هذا المنهج على ركنين أساسين في تحليل الكلمة أما الركن الأول فيقوم على ملاحظة المعنى، وأما الثاني فيقوم على ملاحظة الشكل، وأقصد به أصوات الكلمة.

لا شك أن السير على هذا المنهج يساعد في الوقوف على الأصل التاريخي من حيث الشكل ومن حيث المضمون.

وأحسب أن البحث اللغوي التاريخي يحتاج إلى مثل هذا التحليل، لأنه يمكننا من أن نرد الألفاظ إلى أصولها، وأن نعرف ما طرأ عليها من تباين في الصوت وفي المضمون، ولعل هذا الهدف يحقق بعض متطلبات المعجم التاريخي.

وقد تطلب هذا البحث أن أقوم باستخراج المواد التي جاءت في لسان العربي "لابن منظور" مما بدأ بالعين وكان وزنه على فعلول، ومن ثم تصنيفها إلى ثلاث طوائف:

١. طائفة من الألفاظ التي جاءت على وزن فعلول وحقها أن تكون على وزن عُفْعُول.
٢. طائفة من الألفاظ التي جاءت على فعلول.
٣. طائفة من الألفاظ التي يمكن حملها على وزني فعلول أو عُفْعُول.

Abstract

This research deals with morphemes built according to the morphological form: fu lu:l, and starting with the voiced pharyngeal phoneme: ayn.

The main idea of this research is built on the following argument: the originality of this phoneme is suspicious because it was a result of substitution between its pronunciation as voiced pharyngeal and/ or a glottal stop. This substitution takes its place between some Semitic languages such as Hebrew and Aramaic.

Original versus non-original is a result of differentiation between its present pronunciation in Arabic and its pronunciation on the Semitic languages provided that this differentiation should be on light of the historical comparative linguistics between the Semitic languages.

As a part of the methodology of this research, I extracted my data from one of the main dictionaries in Arabic lisan Al-Arab. Then this data has been analyzed and discussed according to their cognates in other Semitic languages taking into consideration their development in these languages.

مقدمة:

مدار هذا البحث على ما عدَّ لدى الصرفيين من وزن "فُعْلُول" في الألفاظ التي تبدأ بصوت العين، وذلك نحو عُبْهول، عُنْظُوب، عُمْروس، فهل العين في هذه الألفاظ أصلية بحق، وبالتالي يكون وزنها كما قالوا على وزن فعلول، أو أن العين فيها زائدة، وهي من أثر تبادلها مع الهمزة بوصفهما حرفين حلقيين، وقد حدث التبادل فيهما على صعيد العربية وشقيقاتها كالعبرية والآرامية.

لا شك في أن صوت العين كغيره يمكن أن يكون أصلياً، وأن يُبدأ به، ويمكن أن يكون زائداً من أثر تبادله مع الهمزة، ومهمة هذا البحث أن يسعى إلى الكشف عما هو زائد، وما هو أصلي في الكلمات التي تبدأ بالعين، مما عولج في كتب الصرف على أنه من وزن فعلول.

ولا بد من تحديد المنهج الذي ستسير عليه هذه الدراسة ابتداءً في معرفة العين الأصلية من العين الزائدة، إذ يقوم هذا المنهج على ركنين أساسيين في تحليل الكلمة أما الركن الأول فيقوم على ملاحظة المعنى، وأما الثاني فيقوم على ملاحظة الشكل، وأقصد به أصوات الكلمة، ولنأخذ مثلاً على ذلك، كلمة عصفور، فإن العين فيها تبدو زائدة، فالعصفور سمي عصفوراً لصفيره، تشهد بذلك اللغات السامية كما تشهد اللغة العربية إذ بنت من "صفر" ما يدل على نوع من العصافير، و لم ترد في اللغات السامية عصفر في الدلالة على هذا النوع من الطيور، فإذا افترضنا أن العين في عصفور قد تبادلت مع الهمزة (وهذا هو جانب الشكل)، فيكون بذلك قد تضافر جانب الشكل والمضمون في الدلالة على أصل الكلمة الذي يعود إلى مادة "صفر" وليس "عصفر".

ولو أن مادة "صفر" كانت لا تمت بصلة إلى عصفر مضموناً، فعندئذٍ لا يكون من حقنا أن نربط بينهما، وخلاصة القول؛ إن الربط فيها يحتاج إلى الركنين معاً، فإن توفرا فهذا مدعاة اطمئنان إلى أن الرد التاريخي سليم، وبخاصة إذا نصت المعجمات على اتحاد المعنى بين المادتين في أصلهما الثلاثي والرباعي، وسيعزز من ذلك أن نجد في اللغات السامية ما يؤيد ذلك، فإن تخلف أي من الركنين فإن هذا يوهن رد الكلمتين إلى أصل واحد.

لا شك أن السير على هذا المنهج يساعد في الوقوف على الأصل التاريخي من حيث الشكل ومن حيث المضمون.

وأحسب أن البحث اللغوي التاريخي يحتاج إلى مثل هذا التحليل، لأنه يمكننا من أن نرد الألفاظ إلى أصولها، وأن نعرف ما طرأ عليها من تباين في الصوت وفي المضمون، ولعل هذا الهدف يحقق بعض متطلبات المعجم التاريخي.

لقد أمكن بفضل التزام المنهجية السابقة، أن نقف على قسمين من الألفاظ: قسم يمكن في حقه أن يوزن على عُفْعُول، وبذا يكون هذا القسيم اللهجي لوزن أفعول، بوصف العين تليناً صوتياً للهمزة، ولا فرق في المعنى يترتب على ذلك، أما القسم الآخر، فهو ما كان اللغويون القدماء على حق في وزنه على فعلول، بوصف العين فيه أصلية، وهي فاء الكلمة، وثمة قسم ثالث لا يخرج عن واحد من هذين القسمين غير أنه يحتمل أن يرد إلى هذا القسم أو ذاك.

على أن المرء في هذه المعالجة التاريخية - كأي معالجة في ضوء هذا المنهج- سيصادف أمثلة يكون فيها الدليل واضحاً، وأمثلة أخرى يكون فيها الدليل أقل وضوحاً. ولا بأس، فهي محاولة، ولن نعدم جدواها في فتح باب النقاش، في محاولة ترمي إلى الكشف عن وزن طَمَسه الزمان- عُفْعُول- الذي لم تدم لهجة أهله - وهي العنعنة- ولكن بقايا هذه العنعنة تظل ماثلة رغم ما علاها من غبار الزمان، وما ترتب عليه من اختلاطها بغيرها، مما جاء على وزن فعلول، وكانت فيه العين أصلية، وسيكون من هدف هذه الدراسة أن ترد المواد الرباعية إلى أصولها الثلاثية ما أمكن ذلك، فلا شك في أن ألفاظاً نحو عرقوب قد أصبحت رباعية بفضل فك الإدغام في الفعل الثلاثي "عَقَبَ".

وقد تطلب هذا البحث أن أقوم باستخراج المواد التي جاءت في لسان العربي "لابن منظور" مما بدأ بالعين وكان وزنه على فعلول، ومن ثم تصنيفها إلى ثلاث طوائف:

١. طائفة من الألفاظ التي جاءت على وزن فعلول وحقها أن تكون على وزن عُفْعُول.
٢. طائفة من الألفاظ التي جاءت على فُعْلُول.
٣. طائفة من الألفاظ التي يمكن حملها على وزني فُعْلُول أو عُفْعُول.

١- الطائفة الأولى: ما جاء من الألفاظ على وزن عُفْعُول:

عثكول: عدَّ ابن منظور هذه الكلمة مشتقة من الفعل الرباعي: عَثْكَل[١]، و"العُثْكُول: العُثكالُ والعُثْكول والعُثْكُولة، العِذْق، والعُثْكول" الشمراخ الغصن وهو ما عليه البُسْر، وهو من النخل بمنزلة العنقود من الكرم، وقال الراجز:

لو أبْصرَتْ سُعْدي بها كَتَائِلي
طويلةَ الأقْناء والأثاكل

أراد العثاكل، فقلب العين همزة".

وورد في مادة "ثكل"[٢] والإثكال والإثكول لغة في العِثْكال والعُثْكول، وهو الغدق الذي تكون فيه الشماريخ، وقيل هو الشمراخ:

وبالتالي فإن العين زائدة، والكلمة على وزن عُفْعُول. ومما يجدر ذكره أن هذه الكلمة انتقلت في مرحلة تالية للدلالة على "ما علق من عهن أو زينة، فتذبذب في الهواء[٣]، ولا يخفى الشبه بين ما يعلق من الزينة المتحركة وبين العُثْكُول المتحرك بما عليه من البُسْر على شجرة النخيل، وقد دل المنهج التاريخي المقارن على أن أصل المعنى من "القطف" لكل ما هو معلق أو معقود أو مجدول، ومن ثم أطلق على "ما علّق من عهن أو زينة فتذبذب في الهواء"، ويمكن بالمنهج التاريخي المقارن أن نقارب بين مفهوم "قطف العنب"، أو عرجون النخلة، وبين معنى القطف، أي انتزاع الوليد من أمه، وهذا ما تضمنته تسمية قطف العنب، أو النخيل في بعض اللغات السامية[٤]، إذ أطلق عليه في العربية عثكول، وعثكال، وإثكال، بتبادل بين الهمزة والعين، فكأنما أصل الكلمة من ثكل بزيادة العين أو الهمزة، وهذا ما نجده في العبرية، إذ الكلمة (ešköl<) أو (<eškōl)، وهي بالهمزة في مقابل إثكال العربية وتعني قطف العنب، أو قطف النخيل، وهي في الآرامية بالهمزة كذلك [٥].

وصيغ الفعل الرباعي من اسم العين عُثْكول للدلالة على محاكاة المفعول للمشتق منه، فقيل "عثكلت المرأة شعرها"، أي صيَّرت شعرها كالعُثْكول أو العِثْكال وهو الشِمراخ.

عثنون: عدَّه ابن منظور، من عَثْنَنَ[٦]، والعُثْنون من اللحية ما ينبت على الذقن، وتحته سفلاً، وقيل عُثْنُون اللحية طولها ..."[٧]."والثُنْةُ: الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة،... والثُنْة من الفرس مؤخر الرسغ وهي شعرات مدلاه مشرفات من خلف". والثنة من الدواب الشعر الذي على مؤخر الحافر في الرسغ"[٨]، ويمكن أن يكون أصلها التاريخي القديم من مادة (ثنّ) التي تدل على التثني كما هي الحال في ثنية الثوب وثنية الطريق ومنها العدد الثاني، إذ هو ثنيّة الأول، فالمادة ذات أصل ثنائي، تدل على الردف، وقد جاء العدد الثاني في أصلٍ من أصوله القديمة بالاستعمال الثنائي، فقيل: ثنتان من غير ياء إذ لا نقول عند العدّ "ثنيتان"، مع "أنه ليس ثمة مانع لغوي يمنع من إظهار الياء عند التثنية، فقد قيل مرميان ومسعيان... وغير ذلك"[٩]، ويبدو أن "ثنيتان" تدل على مفهوم الثني لا مفهوم العدد، ثم خصصت اللغة هذه الكلمة من غير ياء للدلالة على العدد.

ومما يستأنس به على أن الحرف الصائت ليس أصلياً، وعلى أنه ليس في الأصل إلا حركة اقتضتها الطبيعة الاشتقاقية للغة، إذ تجد هذا الحرف الممطول قد استغني عنه في صيغة المثنى التي جاء عليها هذا العدد في اللغات السامية[١٠].

إضافة إلى أن الحرف الثالث في أصل هذه المادة الثنائية التي اشتق منها هذا العدد في اللغات السامية لم يثبت على حال، فهو في العبرية **תַּ** بالهاء، وهي ليست أصلية وإنما تشبه هاء السكت في العربية، وقد

جاء الحرف الثالث في كل من الآرامية والسريانية ألفاً، (Trēn)، وفي الأكاديـــة (šanā) بـــالواو، وفي العربية الجنوبية (sānīt) بتاء التأنيث[١١].

وعلى هذا فالعين زائدة، وأثنون وعثنون تدل على الشعر المتثني المرتد لطوله وقد تبادلت العـــين والهمزة وهما صوتان يتبادلان في العربية.

العُرْصُوف:- عدَّ ابن منظور هذه الكلمة مشتقة من الفعل الرباعي " عَرْصَفَ" "والعُرْصُـــوف قطعـــة خشب مشدودة بين الحنوين[*] المقدمين. والعراصيف أربعة أوتاد يجمعن بين رؤوس أحناء الرحـــل، في رأس كل حنو من ذلك وتدان مشدودان، بعقب أو بجلود الإبل، ويعدلون الحنو بالعرصوف"[١٣].

وورد في "رَصَفَ" "رصفتُ السهم أرصفه، إذا شددت عليه الرصاف، وهي عقبة تُشدُّ على الرُّعـــظ، والرُّعظ مَدْخل سِنْخ[*] النصل، يقال: سهم مَرْصوف ... والرصفة واحدة الرصاف، وهي العقبـــة الـــتي تلوى فوق رعظ السهم إذا انكسر"[١٥]، ومن ثم فإن العين زائدة في عرصوف، ومما يرجح ذلك أن مـــادة "رصف" في العبرية جاءت بالمعنى ذاته ومنها (rāṣef)[١٦].

عُسْلُوج: ذهب ابن منظور إلى أن كلمة عسلوج مشتقة من الفعل الرباعي "عَسْلَج"، والعسلوج: مـــا لان واخضر من قضبان الشجر والكرم، أول ما ينبت ... ويقال:"مات العسلوج هو الغصـــن إذا يبـــس وذهبت طراوته"[١٧].

وربما كانت الكلمة تعود إلى الأصل الثلاثي سَلَجَ، فقد ورد في مادة سلج :"السَلاليج: الدُّلْـــب الطوال ... والسُّلُج من الحمض الذي لا يزال أخضر في القيظ والربيع"[١٨]، وعلى هذا فالعين زائدة.

عُصْلُود: عدَّ ابن منظور كلمة عصلود مشتقة من الفعل الرباعي - عَصْلَـــدَ "والعُصْلَـــود الصُلْـــب الشديد"[١٩] وورد في مادة صَلَدَ:"حجر صَلْد والصلود صلب أملس، وقال تعالى:"فتركـــه صَلْـــداً، وورد "أصلاد الجبين: الموضع الذي لا شعر فيه شبه بالحجر الأملس"[٢٠].

وبذلك فإن الأصل في عَصْلَد، "صَلَد" وعلى هذا فوزن عصلود، عُفْعُول، وربما أفادت إضافة العـين إلى الفعل، دلالة الشدة في الصلابة، وربما كانت الإفادة الانتقال في التعبير عن الأشياء المادية الصلبة، كـــالحجر الصلد، إلى التعبير عن الأمور المعنوية، الناشئة عن تعقد المواقف مع الإنسان كأن يقال عَصْلدتْ المشـــكلة، أي اشتدت فلم يَسْهُل حلها.

عُصْفُور: عدَّ ابن منظور عصفور مشتق من الفعل الرباعي عَصْفَر، ورد في مادة عصفر :"والعصفـــور طائر ذكر والأنثى بالهاء[٢١]:، وأحسب أن الكلمة مشتقة من الفعل صفر، فقد ورد في مادة صفر والصـــلفر كل ما لا يصيد من الطير، وصفر الطائر يصفر صفيراً، أي مكا ... ومنه قولهم: أصفر من بلبل"[٢٢].

وقد دلت صفر على الصفير في بعض اللغات السامية، وهي في العبرية، (ṣōfār) وتعني بوق أو صفارة[٢٣]"، كما وردت في العبرية أيضاً بالشين (šōfār) وفي الأكادية Saparu وتعني زقرق، ودلت العبرية بمادة صفر على العصفور بدون عين Sippōr، وفي السريانية Ṣefrā، عصفور"[٢٤].

ومن ثم فإن العين في الكلمة زائدة، وعلى ذلك فوزنها عُفْعُول وليس فُعْلُولاً، ولكن تطوراً دلالياً حصل لهذه الكلمة، فأصبحت تدل على الآلة فالعصفور"خشبة في الهودج، تجمع أطراف خشبات فيها، والخشبات التي في الرحل يُشدُّ بها رؤوس الأحناء، والخشب الذي يشد به رؤوس الأقتاب، ومسمار السفينة"[٢٥]، وربما كان الربط بين المعنى الأصلي، ومعنى اسم الآلة آتياً من الصوت، فالخشبة التي في الرحل التي يشد بها رؤوس الأقتاب، تخرج صوتاً عند استعمالها شبه بصوت العصفور، فأسموها كذلك، وقد يكون السبب في ذلك استعمال نوع من الخشب يؤخذ من شجر خاص له صورة كصورة العصفور، ذكر الأزهري في معنى عصفور" العصفور ضرب من الشجر، له صورة كصورة العصفور"[٢٦].

وربما كان السبب ربط الهودج بالخشبة المسماة عصفوراً يشير إلى أن الناقة التي عليها الهودج ناقة نجيبة وذلك لأن من أسماء النياق النجيبة (العصافير) "روي أن النعمان أمر للنابغة بمائة من عصافيره، قال ابن سيده: أظنه أراد من فتايا نوقه، قال الأزهري: كان للنعمان بن المنذر نجائب يقال لها عصافير النعمان ... ويقال للجمل ذي السنامين عصفوري، وقال الجوهري عصافير المنذر إبل كانت للملوك نجائب"[٢٧].

ومهما يكن التفسير، فإن استعمال دلالة جديدة للكلمة، يلفت النظر إلى عدم الاستهانة بأي وزن من أوزان العربية، إذ إن بقاء القياس من الأوزان جميعها، يبقي الباب مفتوحاً لتوليد مصطلحات عربية جديدة.

عُصْمُور: عدَّ ابن منظور كلمة عصمور مشتقة من الفعل "عَصَمَرَ"، والعصمور[٢٨]": الدولاب، وذكر ابن الأعرابي، إنه دلو الدولاب"، وربما كانت الكلمة مشتقة من الفعل الثلاثي "صمر"، فقد ورد في هذه[٢٩] :"صمر الماء يصمر صموراً جرى في حدور في مستوى فسكن وهو جارٍ، وذلك المكان يسمى صمر الوادي، وصِمْرُه مستقره فمهمه الدلو هي صمر الماء أو إسكانه في الدلو، وعلى هذا فالعين زائدة والوزن عُفْعُول وليس فعُلْوُلاً وقد أورد ابن منظور بالمعنى نفسه "عُضْمُور"[٣٠] بالضاد، وربما كان الأصل فيهما واحداً، واللفظان جاءا نتيجة التصحيف، وذلك نحو ما ورد في "شرنف الزرع وشريف الزرع بمعنى طال، والسَّمْلَق والشَّمْلَق للسيء الخُلُق"[٣١]، وقد يكون السبب في ذلك، ذلك التبادل الذي يحدث بين الصاد والضاد، وقد حدث مثل ذلك في العربية، فقالت العرب، "حضب وحصب جهنم في حطب" وقد قُرأ قوله تعالى: "حطب جهنم" بالوجهين الآخرين "حضب، وحصب"، وقال ابن السكيت يقال: مصمص الإناء ومصمضة إذا غسله... وتصافوا على الماء وتضافوا عليه، ... وبعير صباصب وضباضب: قوي

شديد،.. والقضب: القطع ومنه سيف قاضب والقصب بالصاد غير معجمة: القطع أيضاً ومنه سمّي القصّاب"[٣٢].

وقد لفت بعض الباحثين المعاصرين النظر إلى أهمية التصحيف بوجه عام في تعدد أوجه القراءات للفظ الواحد،[٣٣]، ومنهم من لفت النظر إلى أهمية ذلك في تكوين صيغة الفعل الرباعي، كما ورد في المثال السابق، وهذا اللفظ على هذا الوزن يشير إلى أن هذا الوزن يصلح للقياس عليه أسماء آلات أخرى، وبذلك فهو يسهم في سد الحاجة إلى إيجاد أوزان في العربية تسهم في اختيار أسماء بعض الآلات الحديثة.

العُمْلُوس:- العملوسة[٣٤] بالضم، القوس الشديدة السريعة السهم ورد هذا التعريف، اسم آلة في فترة لاحقة، وهو غير موجود في مادة "عَمْلَس"[٣٥] في لسان العرب، غير أن المستعمل لاحقاً أفاد من المعنى الدلالي لمادة "عملس"، فالعُمْلُس القوي الشديد على السفر"[٣٦] وأظنها مأخوذة من الفعل "مَلَسَ"[٣٧]، والمَلْس الخفة والإسراع والسَوْق الشديد.

عُمْرُوس: ذهب ابن منظور إلى أن كلمة "عمروس"، مشتقة من الفعل الرباعي "عمرس"، والعمروس "الجمل إذا بلغ والعَمْرَس والعمروس الخروف أو الجدي إذا بلغا"[٣٨].

وربما كانت الكلمة مشتقة من الأصل الثلاثي "مَرَسَ"، "فالمرس والمراس"[٣٩] والممارسة : شدة العلاج، وقيل تمرَّس البعيرُ بالشجرة تحككه بها، ثم تشكلت الصيغة الرباعية من إضافة العين قبل فاء الفعل فأصبحت عمروس، ولا يصعب الربط دلالياً بين ما جاء في مادة "عمرس" ومادة "مرس"، فكلها تشتمل على إشارة إلى سمة مميزة عند كل من الجمل أو الخروف أو الجدي.عند بلوغهما.

عُمْرُود:- عدَّ ابن منظور كلمة عمرود مشتقة من الفعل الرباعي "عَمْرَد"، والعمرود: الطويل[٤٠]. ولعلها مشتقة من الفعل الثلاثي "مَرَدَ"، فقد جاء في هذه المادة "وبناء ممرد مطول، والمارد المرتفع، ومنها المارد سميّ بذلك لطوله وقد دلت مادة مرد (مرد) على الطول والعظمة في اللغات السامية، ففي السريانية وفي العربية الجنوبية (mrd)[٤١]، وتلتقي مادة عمرود دلالياً مع كلمة عمروط، فالعمروط "المارد الصعلوك الذي لا يدع شيئاً إلا أخذه، أي أن أصل الفعل "مرد" ثم نشأ الفعل الرباعي بإضافة صوت العين، فأصبح عمرد، ثم حصل إبدال بين حرفي الدال والطاء.

فالدال[٤٢]

+أسناني لثوي
+مجهور
+انفجاري
-مفخم

والطاء[٤٣]

+	أسناني لثوي
-	مجهور
+	انفجاري
+	مفخم

وإبدال الدال والطاء، ظاهرة قديمة، فقد قالت العرب: "مد الخزف ومطه، وما عندي إلا هذا فقد، وإلا هذا فقط"(٤٤).

العُنْجُور: ذهب ابن منظور إلى أن كلمة عنجور "مشتقة من الفعل الرباعي عَنْجَرَ"، والعنجور بالضم غلاف القارورة، ولعلها من نجر، إذ غلاف القارورة على علاقة بالنجارة، إذ هو مصنوع من الخشب.

٢- الطائفة الثانية: ما جاء من الألفاظ على وزن فعلول:

عُنْظُوب: عدَّ ابن منظور كلمة :"عنظوب" مشتقة من الفعل الرباعي "عَنْظب، والعُنْظُوب والعُنْظُباء الجراد الضخم وقيل هو ذكر الجراد الأصفر، والأنثى عنظوبة، والجمع عناظب"(٤٥).

ولعل عنظوب مشتقة من الفعل الثلاثي "عظب" فقد جاء في هذه المادة "وعظب الطائر يعظب عظباً حرك زِمكاه بسرعة..... والعُنْظُب العَنْظَب والعُنْظَابُ والعِنْظَاب، والعنظوب كله الجراد الضخم، وقيل هو ذكر الجراد الأصفر، وفتح الظاء في العنظب لغة والأنثى عنظوبة، والجمع عناظب"(٤٦).

ومن ثمّ فإن النون جاءت تعويضاً بعد فاء الفعل، (<an/ẓa/ba) وذلك للتخلص من التضعيف في "عظّب"، (<az/ẓa/ba).

لقد التفت اللغويون العرب القدامى إلى مثل هذه الظاهرة، فذكر ابن جنى أن الأصل في الإبدال في الحروف "إنما هو فيما تقارب منها وذلك: الدال والطاء والتاء والذال والظاء والثاء، وغير ذلك مما تدانت مخارجه"(٤٧) أي أنه "كلما اقترب صوت من صوت آخر، اقتراب كيفية أو مخرج، حدثت مماثلة(٤٨).

أما عن القيمة الدلالية التي أضافها هذا التعويض بدلاً من الظاء الساقطة، إضافة إلى مطل الحركة القصيرة في عنظوب، فنعول، وعنظاب، فنعال، فأحسب أنها أفادت دلالة جديدة، في تجسيد معنى الضخامة لذكر الجراد، ومطل الحركة بوجه عام يعبر عن هذه الظاهرة بالنسبة لوصف الإنسان إحساسه تجاه شيء مادياً كان أم معنوياً فمطل الحركة في "عبهول" أدى إلى التعبير عن الضخامة المادية للموصوف، كما أن مطل الحركة في المنادى أدى إلى نقل الأسلوب من النداء إلى الندبة، ولا يخفي ما في ذلك المطل من تصوير للهول الذي يحس به الإنسان أمام فاجعة الموت، وللباحثين آراء في مثل هذه الاشتقاقات اللغوية غير القياسية "المهجورة"(٤٩).

فمنهم من يرى أنها لا قيمة لها في المعنى، وإنها تؤدي وظيفة هامشية في اللغة، وأنها مظهر من مظاهر السذاجة والبدائية، بحيث لا يوجد وجه للمقارنة بينها وبين الزيادة "إن الإلحاق كإتباع الأصل، ضرب من العمل الشكلي، بينما ترقى الصياغة الغالبة بزياداتها المقصود إلى ذروة العمل المبدع الجوهري، فتعدد

الأوزان الملحقة كتنوع الألفاظ بصيغتها الأصلية المتكاثرة، أمارة على غنى العربية لا على حياتها ووصم لها بالسذاجة والبدائية، لا بالعمق والحضرية[٥٠].

ومنهم من يرى أن هذه الأوزان مفتعلة ومصطنعة[٥١] وربما تساءلنا هنا عن موقع هذه الاشتقاقات اللغوية غير القياسية من قاعدة اللغويين المشهورة، التي تشير إلى أنه لكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى، قال ابن جنى، [٥٢] "وبعد فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به".

لا شك أن اللغويين العرب القدماء، كانوا يميزون بين اختلاف المعنى المترتب على الاشتقاق القياسي والاشتقاق غير القياسي فالاشتقاق القياسي، هو القوالب التي يفرغ فيها المستعمل للغة المادة اللغوية الواحدة، فتقيد معاني مطردة محددة، كالفاعلية والمفعولية، في حين لا تخلو الاشتقاقات اللغوية غير القياسية "المهجورة"، من إضافة في المعنى، ولكنه لا يرقى إلى النوع الأول، وقد أشار صاحب شرح المفصل إلى هذا المعنى إشارة واضحة بقوله[٥٣]: "فليس المراد من زيادة الإلحاق ألا يصحبها زيادة معنى كما قيل، لأن معنى حوقل وشملل مخالف لمعنى حَقَلَ وشَمَلَ، وليس كزيادة الهمزة في أكرم والراء في فرّح، والألف في فاعل" وعلى هذا فإن سيبوية لم يشغل نفسه بالتفريق بين دلالات هذه الاشتقاقات، وإنما اكتفى بذكر الأبنية الملحقة بالأفعال والأسماء مجردة ومزيدة[٥٤].

وأرى أنه يمكن أن نبحث بعض الفروق الدلالية في مثل هذه الاشتقاقات، فهي وإن لم تكن قياسية، غير أنها قد تكون نافعة فعن طريقها نشأ تكوين الصيغ الثلاثية المزيدة بحرف أو حرفين، إضافة إلى أن وجود مثل هذه الاشتقاقات يشكّل مرجعية جيدة للقياس عليها وبخاصة ونحن في أمس الحاجة إلى طرق كل الأبواب الممكنة لمسايرة التقدم والتطور العلمي المتسارع[٥٥].

وذلك استئناساً بقول كلام العرب المشهور: "إن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"[٥٦]، وإلى هذا يذهب بعض الباحثين المحدثين فالاعتدال أن تشقق ما تحتاج إليه اليوم على أوزان العرب وأساليبها في تشقيق الصيغ[٥٧].

وقد وردت عُنظُوب، وعَنْظُوب، بفتح العين وضمها ويمكن أن تفسر هذه الظاهرة بأثر المخالفة الصوتية في تكوين صيغتي (عُنظُب- فُنعُل) و(عَنْظَب- فَنْعَل) ولعل الأصل هو الصيغة الأولى، فقد ذكر صاحب اللسان أن "فتح الظاء في العُنْظَب لغة"[٥٨].

العُرْجُود: عدَّ ابن منظور كلمة "عرجود" مشتقة من الفعل الرباعي "عرجد" والعرجود، أصل العذق من التمر والعنب، حتى يقطفا، والعرجود، ما يخرج من العنب أول ما يخرج كالثآليل[٥٩].

ويبدو أن هذه الكلمة مشتقة من عرد، إذ ليس في مادة "رجَدَ"[٦٠] ما يلتقي دلالياً مع المعنى السابق،

بينما ورد في مادة عرد: "عرد الناب يعرد عروداً، خرج كله واشتد وقال أبو حنيفة، عرد النبت يعرد عروداً، طلع وارتفع وقيل خرج عن نعمته وعضوضته فاشتد. .... وفي النوادر عرد الشجر أعرد، إذا غَلُظ وكَبُر"[٦١] وعلى هذا فإن العين أصلية، والجيم جاءت نتيجة التعويض عن أحد صوتي الراء.

وربما كان الأصل في الفعل الثلاثي عَرَدَ دون تشديد، ولكنه تطور في مرحلة لاحقة إلى صيغة مشددة، وعندئذٍ يكون التخلص من الصيغة المشددة مرتبطٌ بطبيعة إنتاج جهاز النطق للصوت، أي أن "السبب في المخالفة من الناحية الصوتية المشدد، هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي (يقلب)، أحد الصوتين صوتاً آخر، من تلك الأصوات التي لا تتطلب جهداً عضلياً مثل أشباه العلة (الواو والياء)، أو بعض الأصوات المتوسطة كاللام والنون والراء، ويعتبر ذلك مظهراً من مظاهر قانون التيسير اللغوي"[٦٢].

فالراء المشددة في عرّد، صعبة في النطق، ومما يزيد في ذلك أن الراء حرف مكرر يعتمد نطقه على طرق طرف اللسان حافة الحنك الأعلى، ومن هنا جاء التخلص من أحد الرائين بصوت الجيم، وهو صوت لثوي حنكي [dj] "مزدوج انفجاري احتكاكي بحسب نطق القرشيين وهو المتبع حتى الآن في قراءة القرآن الكريم"[٦٣]، وفي هذا تقلة وسطية بين العين من أقصى الحلق، وبين طرف اللسان مع الحنك الأعلى.

أما عن الاختلاف في الصيغة الدلالية التي ترتبت على وجود صيغة عرجد، فربما كان الفعل الأصلي "عَرَدَ" دالاً على الخروج والاشتداد بوجه عام سواءً أكان ذلك في النبات[٦٤]، أو غيره، كالناب والقوس وكل شيء منتصب شديد عَرْد بينما جاءت عرجد والعرجود جاءت دالتين على ثمر النخيل والعنب أول بروزه.

ويمكن الربط بين عُرْجُود وعرجون[٦٥]، فهما يلتقيان في المعنى، فقد ورد في مادة "عرجن" العُرجون، العذق عامة وقيل هو العذق إذا ييبس واعوج، قال الأزهري العرجون أصفر عريض شبه به الله الهلال لما عاد دقيقاً، فقال سبحانه وتعالى: "والقمَر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم"، وقد ورد تبادل الدال والنون عند بعض القبائل العربية.

وربما كان الإبدال بينهما لتغيير في الدلالة، فالعرجود كان لأول بروز ثمر النخيل والعنب وهو كالثاليل، في حين اختص العرجون بالدلالة على عذق النخيل، إذا جف وييس واعوج.

عُرْقُوب: عدَّ ابن منظور كلمة عرقوب مشتقة من الفعل الرباعي "عَرْقَب"[٦٦]، والعرقوب: "العصب الغليظ الموتر فوق عقب الإنسان، وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها ..... وعرقب الدابة قطع عرقوبها".

ويمكن رد هذه الكلمة إلى الفعل الثلاثي "عقب"، لاتفاقهما في الدلالة، فقد ورد في مادة عقب[٦٧] عقب كل شيء وعقبه وعاقبه وعقبته وعقباه آخره، وفي الحديث أنه بعث أم سليم لتنظر له امرأة فقال: انظري إلى عقبيها أو عرقوبيها، قيل لأنه إذا أسود عقباها أسودّ سائر جسدها".

وعلى هذا فالعين أصلية، وقد عُوِّض عن أحد صوتي القاف بالراء كما حصل في الفعل "عرقل"[٦٨]، الذي يدل على التعويج والابتعاد عن القصد"، وهو من الفعل الثلاثي" عقل[٦٩] الذي يدل على الربط والحبس.

عُسْبُور: عدَّ ابن منظور "عسبور" مشتقة من مادة "عسبر"[٧٠]، والعسبور: "ولد الكلب من الذئبة، والعسبورة، الناقة النجيبة، وقيل السريعة من النجائب"[٧١].

وذكر ابن منظور عن الأزهري: "والصحيح العُبْسُورة، الباء قبل السين في نعت الناقة"[٧٢]، وهذه الفكرة تجعلنا نقلب هذه الكلمة بين مادتي "بسر"، إن كان الصحيح "عبسورة"، و(سبر)، إن كان الصحيح "عسبورة" وليس في مادة "سَبَر"[٧٣]، ما يدل على التقاء في الدلالة، وكذلك الحال في مادة "بسر"[٧٤].

ومن ثم فإنه يترجح أن تكون العين أصلية، وتكون الكلمة مشتقة من مادة "عسر"[٧٥]، فالعَواسِر من الذئاب التي تعسر في عدوها والعاسرة من النُوق هي التي إذا عدَّت رفعت ذنبها وتفعل ذلك في نشاطها، والذئب يفعل ذلك، ومنه قول الشاعر:

إلا عَواسَر كالقِداحِ مُعيدة بالليل مَوْرِد أيِّم مُتَغَضَف

أراد بالعواسر الذئاب التي تعسر في عدوها، وتكسر أذنابها[٧٦]، ومن هنا فهي تتصف بها هذه الحيوانات كالذئاب، والنوق السريعة، ولذا عرفت بها في سياقها، كما عرف الأسد بأسمائه الأخرى، التي بدت مع تقادم الزمن من الترادف.

وعلى هذا تكون الباء زائدة، بعد فاء الكلمة، وذلك على نحو التعويض بالباء في شبرق، يقال: "شَبْرق الثوب: مَزَّقَه، وشَبْرق اللحم: قطعَّه"[٧٧] ولعل ذلك من الفعل "شَرَق"، فتشْريقُ اللحم، تقطيعه، وتقديده وبَسْطُهُ، جاء في اللسان، شرَّقت اللحمَ، شبرقته طولاً وشررته في الشمس ليجف[٧٨].

وقد ذكر ابن منظور كلمة "عُبْسُور" في مادة مستقلة هي عبسر، وهي تلتقي مع عُسْبُور في المعنى نفسه، فالعبسور من النوق السريعة، والعبسورة الصُّلْبة"[٧٩].

ويبدو أن الكلمتين مشتقتان من أصل واحد هو "عسر" غير أن ظاهرة القلب المكاني، (Metathesis)، وتعني "تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ مع حفظ معناه"[٨٠]، وقد وقع هنا بين الباء

والسين، جعلت المجال مفتوحاً لتكوين مادة جديدة، انتشرت مع الزمن على ألسنة الناس، حتى عدَّتها المعاجم مادة جديدة، وذلك على نحو ما جاء في مادتي"، بَخْنَق، وخنق، [٨١] وكذلك نحو قول العرب: صاعقة وصواعق، وهو مذهب أهل الحجاز، بينما يقول بنو تميم: صاقعة وصواقع[٨٢]، واستشهد ابن منظور للغة تميم بقول ابن الأحمر[٨٣].

ألم تَـرَا أنَّ المجرمـينَ أصابَـهُم صواقعُ لا بَلْ هُـنَّ فـوقَ الصَواقـعِ

وما ينطبق على سبب القلب بوجه عام ينطبق على هذه الكلمة، فربما كان السبب يعود إلى صعوبة نطق بعض الأصوات متتابعة كصوتي الصاد والعين، في هذه الكلمة، ومثل ذلك ما نسمعه، على ألسنة الأطفال نحو قولهم "مرحوة في مروحة"، وكذلك في قلب العامة مما نسمع صداه في لهجاتنا العربية الحديثة مثل "المعلقة للملعقة، وبايمة في بامية ومرسح في مسرح....الخ"[٨٤].

وظاهرة القلب موجودة في اللغات السامية بعامة، فكلمة (رُكْبَة)، نجدها في الأكادية birku، وفي العبرية bērek، وفي الآرامية "burkā"، وفي الحبشية berk، ولكن العربية آثرت الصيغة المقلوبة، (ركبة)، وهي الفرع، وأعرضت عن الأصل (بركة)، بدليل قولنا (برك الجمل)[٨٥].

وتلتقي مادة "عَسْجَر" مع مادة "عسبر" في الدلالة، فالعيسجور: الناقة الصُّلْبة، وقيل: هي الناقة السريعة القوية[٨٦] ويبدو أن هناك صلة بين دلالة (عسر، وعسبر، وعسجر، وعسكر، فالعسكرة: الشدة، وقال ابن الأعرابي: :"العسكر الكثير من كل شئ، يقال عسكر من رجال وخيل وكلاب"[٨٧]، وقد استمرت دلالة هذه الكلمة على مجتمع الجيش، واختفت دلالتها على الحيوان من خيل وكلاب.

عُقْبُول: العقبول والجمع عقابيل وهو الذي يخرج من الشفتين غِبَّ الحُمّى، وقال ابن الأثير بقايا المرض وغيره، والعقابيل الشدائد، والعقبول، قروح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض"[٨٨].

وورد في مادة "قبل"[٨٩]، معانٍ لا يمكن ربطها فيما أرى بمادة عقبل، وورد في مادة "عقل" والعقال داء في رجل الدابة إذا مشت ظلعت ساعة ثم انبسطت، وداء ذو عقال لا يُبْرأ منه"[٩٠].

وعلى هذا فربما كان اللفظ مشتقاً من الفعل الثلاثي "عقل"، وتكون الباء هي الصوت الذي عوض به عن القاف المشددة في صيغة فَعّل.

وقد وردت بعض الصيغ الرباعية التي نشأت نتيجة التعويض بالباء، وذلك نحو "شبرق" التي تلتقي في الدلالة مع شرّق[٩١] وكذلك خبرق[٩٢] التي تلتقي في دلالتها مع الفعل الثلاثي خرق.

عُلْجُون، وعُلْجُوم: عدَّ ابن منظور أن كلمة :علجون"، مشتقة من الفعل الرباعي عَلْجَن يقال "ناقة علجون وعلجوم، أي شديدة"[٩٣]، وربما كانت هاتان الكلمتان مشتقتين من الفعل الثلاثي علج، فقد ورد

في هذه المادة "العلج: الرجل الشديد الغليظ، ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار، عِلْج، ....وناقة علجة كثيرة اللحم[٩٤].

وبالتالي فإن الفعل الرباعي يكون قد نشأ بزيادة حرف في نهاية الأصل الثلاثي بعد لامة، أما عن تعليل هذه الزيادة، فربما كان لتحقيق غرض صوتي، وذلك لأن الوقوف عند حرف الجيم ومن سماته أنه "+ مجهور، + مركب، + لثوي حنكي"، فيه شيء من الصعوبة في حين أن الوقوف عند صوت النون أو الميم فيه تيسير صوتي أكبر وذلك نظراً لأن السمات الصوتية لكل من الميم "+ شفوي، + أنفي، + مجهور"، والنون "+ أسناني لثوى، + أنفي، + مجهور".

ومما يؤكد تناظرهما أن الميم في بعض اللغات السامية كالأكادية تؤدي ما تؤديه النون في العربية، فالتنوين في العربية يقابله التمييم في غيرها[٩٥]، ولهذا الفعل مماثلات في اللغة وذلك نحو "لهزم من لهز"، و"قرضم من قرض"، وذلك لإفادة المبالغة والقوة في الوصف، ومثل هذا موجود على قلة في العبرية، فمن ذلك (Safam) بمعنى شارب من (Safa) ومثله في الأثيوبية كلمة (qastam) من (qast) وتعني قوس[٩٦]، وقد أفرد السيوطي[٩٧] فصلاً خاصاً للألفاظ التي زيد في آخرها النون، وآخر للتي زيد في آخرها الميم، وبشكل عام فإن الميم أكثرها زيادة في الطرف، بينما النون أكثرها زيادة في الحشو[٩٨].

العُنْجُوف: ذهب ابن منظور إلى أنها مشتقة من الفعل الرباعي، عَنْجَف، والعنجوف اليابس من هزال أو مرض، والعنجوف القصير المتداخل الخَلْق وربما وصفت به العجوز[٩٩]، وتلتقي هذه الدلالة مع دلالة الفعل الثلاثي عجف،[١٠٠]،إذ العُجْف، ذهاب السِمَّن والهُزال[١٠١].

وبالتالي فإن العين أصلية في كلمة "عنجف" والنون جاءت تعويضاً لأحد صوتي الجيم، وذلك على نحو ما حصل في "سَنْجَل وسَجَل"، فقد جاء في مادة "سنجل: سنجل إذا ملأ حوضه نشاطاً[١٠٢] وجاء في سجل: " يقال: أسجلت الحوض، ملأته[١٠٣]، وكذلك في :فنجل، وفجل"، والفنجلة: تباعد ما بين الساقين والقدمين، وأصله فجل: رجل أفجل متباعد ما بين الساقين"[١٠٤].

العُجْرُوف: عدَّ ابن منظور هذه الكلمة مشتقة من الفعل الرباعي "عَجْرَف"، والعجروف دويبة ذات قوائم، قال الأزهري، يقال للنمل الذي رفعته عن الأرض قوائمه عجروف"[١٠٥].

ولّما لم يكن في مادة "جَرَفَ"[١٠٦] الثلاثية، ما يدل على مثل هذا المعنى، ترجح أن يكون اللفظ مشتقاً من الفعل الثلاثي "عرف"، فقد ورد في هذه المادة والعرفان، دويبة صغيرة تكون في رمال الدهناء"[١٠٧]. فإذا صحت العلاقة بين عرف ومنه العرفان، وعجرف ومنها العجروف، فلنا أن نتساءل عن العلاقة بين

الكلمتين عجروف وجعروف، إذ ربما كان الأصل في كلمة "عجروف"، هو "جعروف"، بحصول قلب مكاني بين العين والجيم.

ويرجح هذا التصور لهذه الكلمة، أن العمانيين[١٠٨]، يسمون النمل "الجُعْرُوف"، على اختلاف في نطقه بين المناطق العمانية، فمنهم من ينطق الجيم مجهورة، (g) ومنهم من يقلب الجيم ياء فيقولون (اليُعْرُوف)، وقلب الجيم ياءً ظاهرة قديمة نسبت إلى بني تميم. فقد روى أبو زيد أن بعض بني تميم قال: "شيّرة" للشجرة[١٠٩].

وعلى هذا فظاهرة القلب يمكن أن تكون سبباً في نشوء مادتين مختلفتين في المعاجم، ويمكن تدبرها من خلال تبين الاشتراك في المعنى الدلالي، وذلك كما هو في مادتي (بُخْنُق، وخَنْبَق[١١٠]، وعلى هذا فإن زيادة الجيم أسهمت في نشوء الفعل الرباعي جعرف، والقلب المكاني أسهم في إيجاد صيغتي (عجرف، وجعرف).

وتلتقي مادة عجر مع مادة "عَرَفَ"، في وجه من وجوه الدلالة، ذلك أن العُجْرُفة، "السرعة في المشي ويكون الجَمَل عُجْرُفيّ المشي لسرعته، وعَجَر الفرس.... إذا مرّ مرّاً سريعاً"[١١١].

وربما سميّ النمل أيضاً بذلك، وبخاصة النمل الكبير لما عُرف عنه (من سرعته) في المشي، وعلى هذا التصور فالفاء زائدة، وقد التفت بعض اللغويين القدماء إلى هذه الطريقة من طرق نشوء الفعل الرباعي، وكذلك بعض الباحثين المحدثين[١١٢].

عُسْطُوس: عدَّ ابن منظور كلمة "عسطوس" مشتقة من الفعل الرباعي "عسطس"، والعُسْطُوس رأس النصارى رومية، وقيل هو شجر يشبه الخيزران، وقيل هي شجرة تكون بالجزيرة ليِّنة الأغصان[١١٣].

وربما كان أصل الكلمة الفعل الثلاثي، "عسط"، فقد ورد في هذه المادة "العسطوس"، شجر ليّن الأغصان يقال إنه الخيزران، وقال الشاعر:

عصا عسطوس لينها واعتدالها"[١١٤]

وعلى هذا فإن السين زائدة بعد لام الكلمة، ومثل ذلك (غطرس)، "فالتغَطْرس، التكبر، وتغطرس في مشيته إذا تبختر"، وقد أشار ابن منظور إلى أن الغين متحولة عن خاء، إذ الأصل في (غطرس)، هو "خطر"، والخاطر المتبختر خطر في مشيته، أي مشى مشية المعجب[١١٥]، ومع إدراك ابن منظور لهذا التحول، إلا أنه أفرد مادة رباعية مستقلة بـ (غطرس)[١١٦].

عُطْمُوس: ردّ ابن منظور هذه الكلمة إلى الفعل الرباعي "عطمس"، والعطموس": الجميلة، وقيل هي الطويلة.....، ويقال ذلك لها في تلك الحال إذا كانت عاقراً"[١١٧].

وقد يكون الأصل الثلاثي لها وهو الفعل الثلاثي (عسط)، لالتقائهما في الدلالة، وبالتالي فربما عوض عن أحد صوتي السين في (عسط) بالميم، فأصبحت "عمسط"، ثم حصل قلب مكاني فأصبحت الطاء متقدمة على الميم والسين، وربما كان في ذلك تيسير نطقي في انتقال اللسان من العين، وهو صوت حلقي إلى الطاء، وهو أسناني لثوي، ثم الانتقال إلى الميم، وهو صوت شفوي، ومن ثم الانتهاء بالسين، وهو الصوت المهموس، الذي يصلح أن يكون قافية للكلمة.

٣- الطائفة الثالثة: الألفاظ التي يمكن حملها على وزن "عُفْعُول أو فعلول":

عُبْهُول: عدَّ ابن منظور الأصل في "عبهول"، الفعل الرباعي عبهل[١١٨] يقال عبهل الإبل: أهملها، وهذه المادة تلتقي في دلالتها مع دلالة الفعل الثلاثي "بهل"، فقد أورد ابن منظور المعنى نفسه فيها يقال أبهل الناقة أهملها، ويقال: "أبهل الرجل تركه، وبهلته وأبهلته، إذا خليته وإرادته"[١١٩]، وقد اشتق منها على وزن فعلول "بُهْلُول"، بمعنى العزيز، ومن هنا فإنه يمكن أن يعدَّ الأصل في "عَبْهَل"، "بَهَل"، ومن ثمّ فإن العين تكون زائدة في أول الكلمة، ونلاحظ أن هناك تبادلاً بين العين والهمزة، في "أَبْهَل وعَبْهَل"، وقد نص ابن منظور على هذه الظاهرة بقوله: "عَبْهَل الإبل أي أهملها، مثل أبهلها، والعين مُبْدَلة من الهمزة[١٢٠].

وتبادل العين والهمزة في الكلمة ظاهرة صوتية قديمة، نسبت إلى قبيلتي قيس وتميم، فهم يقولون في "أَنْكَ عَنْك"، وفي موت "زُعَاف زُؤَاف"[١٢١]، وما زالت هذه الظاهرة تجرى على ألسنة الناس في بعض مناطق عُمان، فهم يقولون "عنجاص في أنجاص وزأتر في زعتر) ولا يخفي أن صوتي الهمزة والعين متقاربلن في المخرج والصفات.

ويمكن الربط دلالياً بين مادة "عبهل"، ومادة "عبل"[١٢٢]، فقد ورد في مادة "عبل"، "والعبل: الضخم من كل شيء، وفرس عبل الشوى، أي غليظ القوائم، وامرأة عبلة، أي تامة الخَلْق"، ثم انتقل المعنى الدلالي المادي الدال على تمام الخلق، إلى التعبير المعنوي الدال على تمام الخلق، وهذا ما يفهم من كتاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إلى وائل ابن حجر وقومه: "من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة، من أهل حضرموت"[١٢٣]، فالعباهلة تعني العظماء.

ويمكن الربط بين مادة "عَبَل"، ومادة "عَبَم"، و"عَبَن" فقد ورد في الجمهرة في عبم: "الرجل العبام، هو الثقيل من الرجال"[١٢٤]، وورد في المقاييس: "العبام: الرجل الغليظ الخلقة"[١٢٥]، وورد في الجمهرة في "عَبَن"، نقول: بعير عَبْني: غليظ شديد"[١٢٦] وفي المقاييس: "العبن: الجَمَل الضخم"[١٢٧]، وورد في الصحاح، "نسر عَبْن أي عظيم"[١٢٨].

وقد تبادلت النون واللام في العربية، قال ابن منظور: "وأبل الرجل كأبنه، عن ابن جني..، أبنت الميت تأبينا، وأبلته تأبيلا، إذا أثنيت عليه بعد وفاته"(١٢٩).

وهذا التبادل موجود في الأصول السامية، فقد ورد في العبرية، (ʾābēl)، وتطلق على الحزين أو الحاد على ميت، و(ʾēḇel) حزن أو حداد، وقد دلت مادة أبل،(ʾābēl) في الآرامية على الحزن والحداد كذلك(١٣٠).

غير أن المعجمات لم تشر إلى اشتقاق في العربية على وزن فعلول من هذه المواد (عبن وعبم)، وربما كان مثل هذه الأقيسة سائرا في مرحلة غابرة من عمر العربية.

وكان يبنى عليها كثير من الكلمات، على نحو ما يبني على "الأقيسة الدارجة"، غير أن قانون الاصطفاء والاختيار أدى إلى أن تضحمل هذه الأقيسة، فيهجرها الاستعمال إلى أن اندثرت"(١٣١).

عُذْلُوج: عدَّه ابن منظور مشتقاً من الفعل الرباعي عَذْلَج(١٣٢)، وغلام عذلوج، حسن الغذاء، والمُعَذْلَج الممتلئ، وعَذْلَج السقاء ملأه.

ورد في مادة "ذَلَج"(١٣٣)، ذلج الماء في حلقة جَرَعه، وكذلك زلجة، وورد في مادة "عذج"(١٣٤)، العذَجْ، الشرب، عذج، الماء يعذجه عذجاً جرعة، وبالتالي فإن المعنى الدلالي لعذج يلتقي مع عذلج.

عُصْلُوب: عدَّ ابن منظور عصلوب، مشتقة من الفعل الرباعي عصلب، فقد ورد في معنى عصلوب، "العصلب والعصلوب، الشديد، الخلق العظيم"(١٣٥).

وربما كان الأصل فيها الفعل الثلاثي "صلب"، "الصلابة" ضد اللين، صلب الشيء صلابة، فهو صليب، وصلب، أي شديد، ورجل صلب وصليب ذو صلابة، وجعله صلباً شده وقواه"(١٣٦)، وربما كان الالتقاء الدلالي مع الفعل الثلاثي "عصب"(١٣٧)،أكبر فقد ورد في مادة عصب: "رجل معصوب الخلق، شديد اكتناز اللحم، وعلى هذا تكون العين أصلية، وتكون اللام زائدة.

وذلك على نحو ما حصل في دملك حيث يقال(١٣٨): دملكت الشيء جعلته أملس، والدملوك، الحجر الأملس المستدير"، وهو يعود إلى الأصل الثلاثي (دمك)(١٣٩)، لأنه يقال: دمك الشيء يدمك دموكاً، أي صار أملس".

وقد حصل التعويض باللام بدلاً من الصاد في مثل: كلصم(١٤٠)، بمعنى فرّ وهو يلتقي في دلالته مع العصل كصم، و (كصم)(١٤١)، يعني النكوص والإدبار.

عُطْرُود: عدَّها ابن منظور مشتقة من الرباعي (عطرد) [١٤٢]، فالعطرود بمعنى الطويل، يقال: "عطرد لنا عندك يا فلان، أي صيره لنا عندك، واجعله لنا عطروداً، ويقال: "ناقة عطرّد (بتشديد الراء)، مرتفعة، ورجل عطرّد، طويل"[١٤٣].

وربما كان الأصل في هذه الكلمة يعود إلى الفعل الثلاثي طرد، فقد جاء في هذه المادة ما يلتقي دلالياً مع المعنى السابق، فمن معاني هذه المادة، "....والطريدة الخرقة الطويلة من الحرير، ...ويقال مرّ بنا يوم طريد وطرّاد، أي طويل"[١٤٤]، وبالتالي فإن العين تكون زائدة، ووزن الكلمة عفعول بدلاً من فعلول.

غير أن مادة "عرد"، أيضاً تلتقي دلالياً مع معنى "عطرد" فقد ورد في مادة "عرد"، عَرَدَ النّاب يعرد عرداً وعُرُداً خرج كله، واشتد وانتصب، وكذلك النبات، وكل شيء منتصب شديد عَرْد"[١٤٥].

ورد في الصحاح[١٤٦]: "عرد النبت يعرد عروداً، أي طلع وارتفع، وكذلك الناب"، وربما رجحّ هذا الأصل أن الأصل الثنائي "عر" يلتقي دلالياً مع المادة الثلاثية السابقة، فقد ورد في المقاييس[١٤٧] حكاية عن الخليل، "عرعرة كل شيء: أعلاه، والعرعرة، طرف السيف، ويتسعون في هذا حتى يسمعوا الرجل الشريف عراعر، ومنه العرارة وهي السؤدد".

وعلى هذا فإن الطاء تكون زائدة، وربما جاءت لفك ادغام الراء، فالأصل "عرد"، بمعنى طال، ثم فك إدغام الراء، بالتعويض بالطاء، وذلك نحو ما حصل في الفعل (فطرش).

يقال: "فطرشت الناقة إذا تفحجت للبول"[١٤٨]، والأصل فيها فرش: "وفرش يدل على البسط، والفَرْش في رجل البعير، اتساع قليل وهو محمود"[١٤٩].

علفوق: عدَّ ابن منظور كلمة "علفوق"، مشتقةً من الفعل الرباعي "علفق" والعلفوق، الثقيل الوَخم[١٥٠]، وليس في مادة لفق ولا في مادة "علق"، ما يمكن ربطه بالدلالة السابقة، غير أنه يمكن الربط بين علفق وعنفك، فقد ورد في مادة عنفك، "العنفك الأحمق، وامرأة عنفك، وهو عيب، والعنفك، الثقيل الوخم"[١٥١].

ولعل عنفك مشتق من الفعل "عنك" فقد ورد في هذه المادة: "كل شيء ما عَظُم منه عَنْك"[١٥٢].

وعلى هذا فالفاء جاءت فكاً للإدغام في الصيغة الثلاثية (عنّك)، والتعويض بالفاء ظاهرة وردت في بعض الصيغ الثلاثية فقلبتها رباعية، وذلك نحو "خنفس - وخنس"[١٥٣]، و (صلفع، وصلع)[١٥٤] و(كرفس وكرس)[١٥٥]، ولا شك أن التبادل بين صوتي الكاف والقاف كان شائعاً في العربية منذ القديم، قالت العرب: "قشطت عنه جلده، وكشطت جلده[١٥٦]، وقد نسب الفراء هذه الظاهرة إلى بعض بطون بني أسد، وعلى هذا فسرت قراءة بعض الأعراب، لقوله تعالى: "فأما اليتيم فلا تكهر"[١٥٧]، وعلى هذا

أسد، وعلى هذا فسرت قراءة بعض الأعراب، لقوله تعالى: "فأما اليتيم فلا تكهر"[١٥٧]، وعلى هذا فربما حدث إبدال بينهما، أدى إلى نشوء كلمتي "عنفك وعنفق"، ومن ثم حدث إبدال بين صوتي النون واللام.

فالنون صوت (أسناني لثوي، أنفي، مجهور)، واللام (أسناني لثوي، جانبي، مجهور).

فهما متفقان في المخرج والجهر، وقد حصل مثل هذا الإبدال في قول العرب "السدول والسدون، فيمل جلل فيه الهودج، وكذلك يقال: "بعير رفن ورفلّ"، إذا كان سابغ الذنب، وقال الفراء، قالت العرب: عنوان الكتاب "وعلوان الكتاب"[١٥٨] ونتيجة لهذا الإبدال تكونت صيغتا "علفق وعنفك"، ومن ثم اتفقتا في الدلالة نفسها، ويمكن الربط بين علفق وعلفف، بتبادل بين صوتي الفاء والقاف بالانتقال من تكرار صوت الفاء الأسناني الشفوي في (علفف)، إلى صوت حلقي في (علفق).

وربما كان ورود صيغتي (علفق، وعلفف)، نتيجة التصحيف، وهو احتمال وارد في الكتابة العربية كما هو حاصل في قول العرب "سفسق الطائر، وسقسق الطائر".

عُنْقُود: ذهب أبن منظور إلى أن كلمة عنقود مشتقة من الفعل عَنَقَدَ، "العنقود من النخل والعنب والأراك والبُطم ونحوها"[١٥٩]. وربما كانت العين في هذه المادة زائدة، إذ أن الأصل فيها "عقّد"، ثم فك الإدغام بإقحام النون لتصبح عنقد.

ولما كانت العين في هذه المادة أصلية أي أنها من عقّد المدغمة فقد ورد في مادة عقّد: "والعنقود، واحد عناقيد العنب"[١٦٠] وعلى هذا فقد تم فك الإدغام بإقحام النون لتصبح "عنقد"، وهذه ظاهرة معروفة في العربية[١٦١] ويمكن الربط بين هذه المادة، ومادة نقد أيضاً، فقد ورد فيها" وأنقد الشجر أورق، والنقد ثمر له نبت يشبه البهرمان[١٦٢]، وعلى هذا تكون العين زائدة.

الهوامش

(١) اللسان ج ٣/٤٥١.

(٢) اللسان ج ١٣/٩٤.

(٣) معروف الرصافي. آلالة والأداة وما يتبعها من الملابس والمرافق والهنات ص ٢/٢.

(٤) انظر:

Furst, J: Hebraisches und Chaldaisches Handworterbuch uber das Alte Testament. Leipzig, 1863 P. 444.

(٥) انظر معناها في كل من العبرية والآرامية.

Gesenius, W. Hebraisches und Aramasches Handworterbuch uber das Alte Testament. 71. Aufl Germany, 1962. P. 71.

(٦) اللسان، ج ١٧/١٤٨.

(٧) اللسان، ج ١٦/٢٣٤.

(٨) اللسان، ج ١٦/٢٣٥.

(٩) إسماعيل عمايرة، العدد، دراسة لغوية مقارنة، منشورات جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، ١٩٨٨، ص ٤٣.

(١٠) إسماعيل عمايرة، العدد، دراسة لغوية مقارنة، ص ٤٤.

(١١) انظر: Bergstrasser, G: Einfhrung in die semitischen Sprachen , Darmstadt, 1936.P. 191.

(•) الحنوان: الخشبتان المعطوفتان اللتان عليهما الرحل.

(١٣) اللسان، ج ١١/١٤٩.

(•) السنخ: الحديدة التي تدخل في رأس السهم.

(١٥) اللسان، ج ١١/١٩.

(١٦) إسماعيل، عمايرة، في سبيل معجم تاريخي "محاولة في التأصيل"، بحث مقدم للمشاركة في ندوة المعجم العربي، مجمع اللغة العربية، دمشق، (٢٢-٢٥ تشرين الثاني/٢٠٠١م، ص١٣).

(١٧) اللسان. ج ٣/١٤٩.

(١٨) اللسان. ج ٣/١٢٣.

(١٩) اللسان ج ٤/٢٨٣.

(٢٠) اللسان. ج ٤/٢٤٤.

(٢١) اللسان. ج ٦/٢٥٧.

(٢٢) اللسان ج ٦/١٣٤.

(٢٣) ربحي كمال، المعجم الحديث (عبري - عربي)، بيروت ١٩٧٥ ص ٤٠٠.

(٢٤) انظر: Gesenius. P. 968.

وانظر: إسماعيل عمايرة، تطبيقات في المناهج اللغوية. ص ٩٧.

(٢٥) معروف الرصافي، الآلة والأداة، وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات، تحقيق وتعليق عبد الحميد الرشودي. ص ٢١٩.

(٢٦) اللسان. ج ٢٥٨/٦

(٢٧) اللسان، ج ٢٥٨/٦.

(٢٨) اللسان، ج. ٢٥٨/٦.

(٢٩) اللسان. ج ١٣٨/٦.

(٣٠) اللسان. ج ٢٥٨/٦.

(٣١) انظر: إسماعيل عمايرة، معالم دارسة في الصرف، الأقيسة الفعلية المهجورة، ص ٢٥-٢٦، وانظر: رمضان عبد التواب لحن العامة، والتطور اللغوي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٤٧.

(٣٢) السيوطي، المزهر، تحقيق محمد أحمد، جاد المولى وآخرين، ج٥٥١/١.

(٣٣) انظر: اللسان، وانظر: نهاد الموسى، تاريخ العربية، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٦، ص ٤٥.

(٣٤) معروف الرصافي، الآلة والأداة، و ... ص ٢٢٧.

(٣٥) اللسان، ج ٢٥/٨.

(٣٦) اللسان.

(٣٧) اللسان، ج ١٠٧/٨.

(٣٨) اللسان. ج ٢٥/٣.

(٣٩) اللسان، ج١٠٠/٨.

(٤٠) اللسان، ج ٣٠٠/٤.

(٤١) انظر: Gesenius,. P. 459.

(٤٢) انظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، منشورات جامعة الكويت، ص ٢٧٧.

(٤٣) اللسان، ص ١٣٦.

(٤٤) انظر: السيوطي، المزهر، ج٢/ ٤٦٦.

(٤٥) اللسان، ج ١٠١/٢.

(٤٦) اللسان، ج ١٠١/٢.

(٤٧) سر الصناعة الإعراب ج١٩٧/١.

(٤٨) برتيل مالمبرج، علم الأصوات، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، د.ت ص ١٤١.

(٤٩) انظر: هذه التسمية عند إسماعيل عمايرة، معالم دارسة في الصرف، الأقيسة الفعلية المهجورة..

(٥٠) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص ٢٩٣، ط٢ ١٩٦٢، دار العلم، بيروت.، ١٩٨٩.

(٥١) إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه، وأبنيته ص ١٤٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣,

(٥٢) ابن جني، الخصائص، ج٣،ص٢٦٨.

(٥٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ج١٠،ص١٥٤.

(٥٤) انظر: سيبوية الكتاب، ج٤، ص ٣٣٤-٣٤١.

(٥٥) انظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٥٣.

(٥٦) ابن جني المتصف، ج١، ص ١٨٠، ط١، ١٩٥٤، القاهرة، مطبعة عيسى البابي، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين.

(٥٧) سعيد الأفغاني ، في أصول النحو، ص ١٥٦، وانظر: إبراهيم أنيس من أسرار اللغة، ص ٣٠.

(٥٨) اللسان، ج٢، ٢٦١، وانظر: الزبيلي، الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات، طبع رومـــا، ١٨٩٠، حرره المستشرق الإيطالي أغناطيوس كويدي، ص ١٤.

(٥٩) اللسان، ج١٥٢/٤.

(٦٠) اللسان ج٢٧٨/٤.

(٦١) اللسان ج٢٧٩/٤.

(٦٢) رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، القاهرة ، ١٩٦٧.

(٦٣) انظر: كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، دار المعارف، بمصر، ١٩٧٣، ص ١٢٨.

(٦٤) اللسان، ج ٢٧٨/٤.

(٦٥) اللسان، ج١٥٦/١٧.

(٦٦) اللسان، ج ٨٣/٢.

(٦٧) اللسان، ج ١٠٢/٢.

(٦٨) اللسان، ج ٤٠٤/١١.

(٦٩) اللسان، ج ٤٥٨/١١-٤٥٩.

(٧٠) اللسان، ج٢٤٢/٦.

(٧١) السابق، ج٢٤٢/٦.

(٧٢) اللسان ٢٤٣/٦.

(٧٣) اللسان، ج٥/٦.

(٧٤) اللسان، ج١٢٢/٥.

(٧٥) اللسان، ج٢٤٢/٦.

(٧٦) اللسان، ج٢٤٢/٦.

(٧٧) اللسان، ج ٥٩/٦.

(٧٨) اللسان، ج ٦٠/٦

(٧٩) اللسان،ج ٢٠٧/٦.

(٨٠) السيوطي، المزهر، ٤٧١/١.

(٨١) انظر: مادتي خنق وبخنق، وانظر: إسماعيل عمايرة، معالم دراسة في الصرف، ص٤١.

(٨٢) المبرد، الكامل، المبرد تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للنشر، د.ن. ،ج ١٨٢/٢.

(٨٣) اللسان، ج ٦٨/١٠.

(٨٤) رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي ص ٤٩.

(٨٥) براجشراسر، التطور النحوي، ص ٣٦، وانظر: إسماعيل عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦، ص ٢٧٧.

(٨٦) اللسان، ج ٢٤٣/٦.

(٨٧) اللسان، ج ٢٤٣/٦.

(٨٨) اللسان، ج٤٩٣/١٣.

(٨٩) اللسان، ج ٥٣/١٤.

(٩٠) اللسان، ج٤٩٠/١٣.

(٩١) اللسان، ج ٥٩/٦. ج ٦٠/٦

(٩٢) اللسان، ج / .

(٩٣) اللسان، ج٢٦٣/١٧.

(٩٤) اللسان، ج١٥٠/٣.

(95) Wright, William, Lectures on the Comparative grammar of the Semitic Languages, Cambridge, 1890 p.144-145.

(96) Moscati, Sabatino, An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages, 2nd Edition, 1969 p.83.

(٩٧) السيوطي، المزهر، ج٢، ص ٢٥٧.

(٩٨) Moscati, p.82.

(٩٩) اللسان،ج ١٦٥/١١.

(١٠٠) اللسان، ج ٢٣٧/١١.

(١٠١) اللسان،ج ١٣٨/١١.

(١٠٢) اللسان، ج ٣٤٨/١١.

(١٠٣) اللسان، ج ٣٢٦/١١.

(١٠٤) اللسان، ج ٥١٥/١١، ج ٥٣٣/١١.

(١٠٥) اللسان، ج١٣٩/١١.

(١٠٦) اللسان، ج ٣٦٨/١٠.

(١٠٧) اللسان، ج ١٤٧/١١.

(١٠٨) انظر: دراسة حليمة عمايرة (من معجم ألفاظ الحياة في سلطنة عُمان - دراسة وتحليل) منشورة ضمن بحوث الملتقى العلمي الأول، حول تراث سلطنة عمان، قديماً وحديثاً، سلسلة وحدة الدراسات العمانية، جامعة آل البيت، العدد الأول، ٢٠٠٢، ص ٤٥١.

(١٠٩) ابن السكيت، القلب والإبدال، ص ٢٩، وانظر: الإبدال لأبي الطيب، ٢٦١/١، وانظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ص ١٣٣.

(١١٠) انظر: معالم دارسة في الصرف، الأقيسة الفعلية المهجورة، ص ٤٠-٤١.

(١١١) اللسان، ج٢١٦/٦.

(١١٢) انظر: إسماعيل عمايرة، معالم دارسة في الصرف، ص ١٩، وانظر: هنري فليش العربية الفصحي، نحو بناء لغوي جديد ص ١٥٦.

(١١٣) اللسان، ج ١٧/٨.

(١١٤) اللسان، ج ٢٢٤/٩.

(١١٥) اللسان، ج ٢٥/٤.

(١١٦) اللسان، ج ١٥٥/٦-١٥٦.

(١١٧) اللسان، ج ١٩/٨.

(١١٨) اللسان، ج٤٤٩/١٣.

(١١٩) اللسان، ج٧٤/١٣.

(١٢٠) اللسان، ج٤٤٩/٣.

(١٢١) ابن السكيت، تحقيق حسين شرف، ص ٨٤، وانظر: أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ج٥٥٥/٢.

(١٢٢) اللسان، ج٤٤٧/١١.

(١٢٣) اللسان، ج٤٤٨/١١.

(١٢٤) ابن دريد، الجمهرة، ج١/٣١٦.
(١٢٥) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٤/٢١٥.
(١٢٦) اللسان، ج١/٣١٧.
(١٢٧) اللسان، ج٤/٢١٥.
(١٢٨) الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، ج٢/٧٦.
(١٢٩) اللسان، ج١١/٦.
(١٣٠) إسماعيل عمايرة، تطبيقات في المناهج اللغوية، ص ٨٥.
(١٣١) إسماعيل عمايرة، معالم دارسة الصرف، ص ١٧.
(١٣٢) اللسان، ج ٣/١٤٥.
(١٣٣) اللسان، ج ٣/١٠٣.
(١٣٤) اللسان، ج ٣/١٤٥.
(١٣٥) اللسان،ج ٢/٩٩.
(١٣٦) اللسان، ج ٢/١٥.
(١٣٧) اللسان، ج ٢/٩٣.
(١٣٨) اللسان، ج ١٠/٤٢٩.
(١٣٩) اللسان، ج ١٠/٤٢٩.
(١٤٠) اللسان، ج ١٢/٥٢٦.
(١٤١) اللسان، ج ١٢/٥١٩.
(١٤٢) اللسان، ج٤/٢٧٨.
(١٤٣) اللسان، ج٤/٢٨٧.
(١٤٤) اللسان، ج٤/٢٥٨.
(١٤٥) اللسان، ج٤/٢٧٨.
(١٤٦) اللسان، ج٢/ص٩٦.
(١٤٧) اللسان، ج٤/٣٦.
(١٤٨) اللسان ج ٦/٣٣٣.
(١٤٩) اللسان، ج٦/٣٢٩.
(١٥٠) اللسان، ج١٢/١٤٢.
(١٥١) اللسان، ج١٢/٣٥٩.

(١٥٢) اللسان، ج١٢/٢٥٨.

(١٥٣) اللسان، ج ٧/٣٧٢.

(١٥٤) اللسان، ج١٠/٧٣.

(١٥٥) اللسان، ج٨/٧٧.

(١٥٦) ابن السكيت،ـــ الإبدال، ص ٦٤.

(١٥٧) انظر: أبو الطيب اللغوي، الإبدال، ج٢/١٧٢.

(١٥٨) اللسان، ج٢، ص ٢٨٣.

(١٥٩) اللسان. ج ٤/٣٠٤.

(١٦٠) اللسان، ج٤، ٢٩٢.

(١٦١) إسماعيل عمايرة، معالم دارسة في الصرف، ص ٣٨.

(١٦٢) اللسان، ج٤، ٤٣٧.